الجـمهورية الجـزائرية الـديمقراطية الشعبيـة

وزارة التــعليم الـعالي والبحث الـعلمي

جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة ـ

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

خطاب الجنون في النوادر العربية القديمة (مقاربة تداولية)

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:

هاجر سماعيلي

إشراف الاستاذة:

هاجر مدقن

اللجنة المناقشة:

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
أيوب بن حود	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة قاصدي مرباح
هاجر مدقن	أستاذ التعليم العالي	مشرفة ومقررا	جامعة قاصدي مرباح
إبراهيم ايدير	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة قاصدي مرباح

السنة الجامعية:

2026/2025م – 1448 هـ

العنوان :

خطاب الجنون في النوادر العربية القديمة (مقاربة تداولية)

من اعداد الطالبة:

هاجر سماعيلي

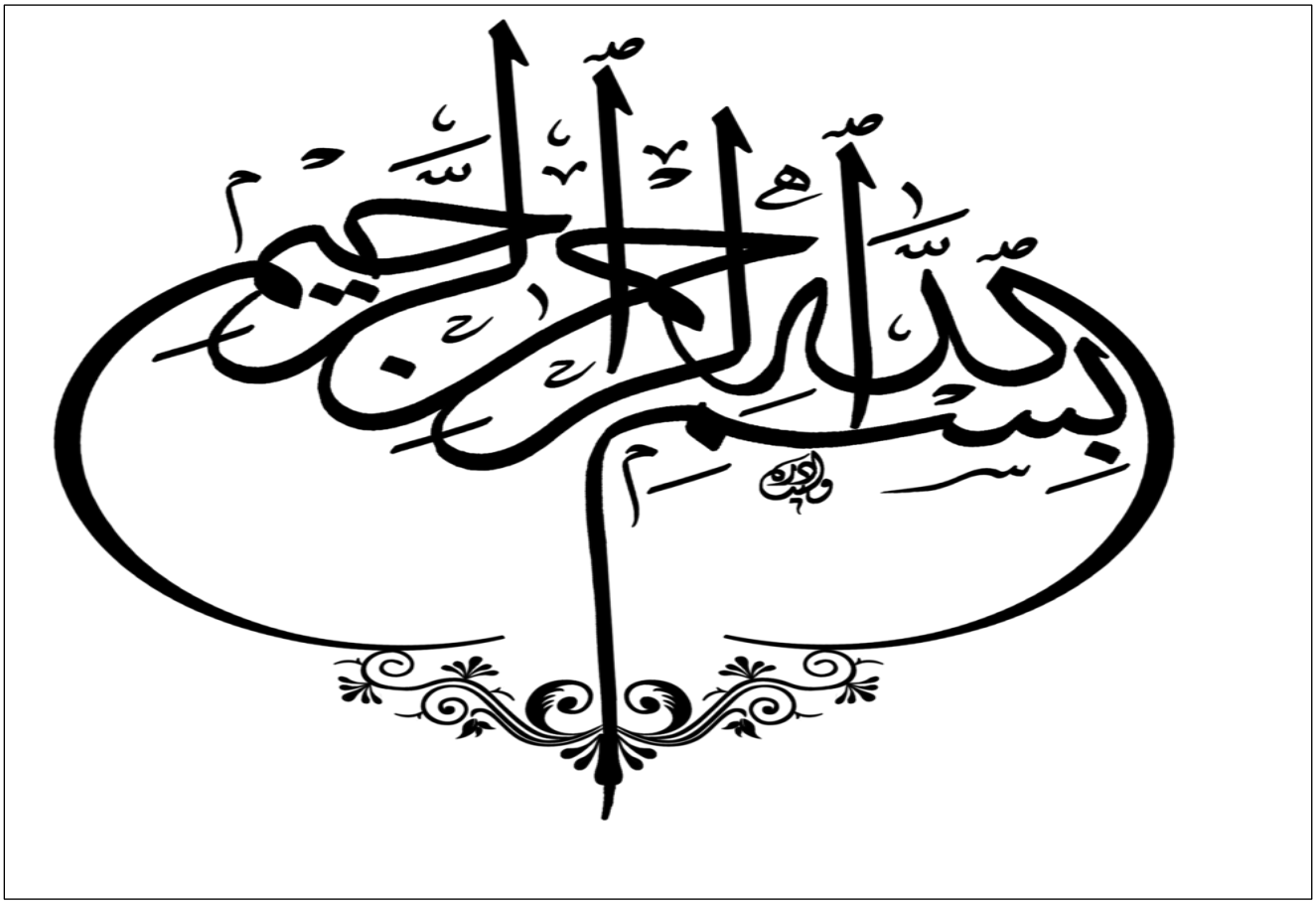
بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــــــداء

إنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز أن أهدي ثمرة جهدي الى أغلى ما أملك أمي وأبي اللذين هما سبب وجودي، أبي قرة عيني الذي ضحى وتعب في سبيل نجاحي، لم يحرمني يوما من حنانه، وأمي التي عانت وقاست وتحملت من أجلي مشاق الحياة وأهدتني الحنان والرعاية، والى الذين أنا منهم وهم مني الاخوة والاخوات.

وأهدي هذا العمل المتواضع الى من أرشدتني الى طريق الصواب، جزاها الله أحسن ثواب الى أستاذتنا الكريمة الفاضلة الدكتورة " هاجر مدقن " حفظها الله ورعاها، أهديها تحية قمتها قمة الجبال العالية، واتساعها اتساع البحار، وعطرها عطر الريحان، يا من أنقذتني بعدما لعبت الأمواج بسفينتي التائهة في عرض البحر وأشرفت على الغرق فكنتي خير ملبي لنداء نجدتي.

وأهدي عملي هذا الى كافة رفقاء الدرب الدراسي من زملاء وأساتذة وعمال وعاملات والى كل من ساندني في هذا الإنجاز، أتقدم لهم بالشكر الجزيل ونسأل الله أن يوفقنا وإياهم في كل ما نطمح اليه ويرفعنا الى أعلى المراتب دنيا وآخرة.

شكر وتقدير

وما توفيقنا الا بالله ...

الحمد لله العلي الكريم الذي وفقنا لهذا القدر من الإنجاز، والذي لولا فضله علينا وتوفيقه لما وصلنا الى هذا، فاللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك الكريم.

وأتقدم بجزيل الشكر الى الأستاذة المشرفة " هاجر مدقن " على حسن الاستقبال والتوجيه والتصحيح طيلة فترة اعداد هذا البحث، ولكل من قدم لنا يد العون ولو بالسؤال عن الحال والى كل من أعاننا من قريب وبعيد نهدي لكم فائق التقدير والاحترام.

ملخص الدراسة:

تسعى هذه الدراسة الموسومة ب " خطاب الجنون في النوادر العربية القديمة ـ مقاربة تداولية ـ " إلى استنطاق البنى الخطابية للمجانين في التراث العربي القديم، والكشف عن مقاصدها التواصلية وأبعادها الحجاجية التي تتجاوز ظاهر العبث إلى عمق الوعي والنقد. وقد اعتمد البحث على المنهج التداولي باعتباره الآلية الأنسب لمقاربة النصوص وفق أبعادها السياقية والمقامية ومقاصد المتكلمين. وافتتحت الدراسة بتمهيد حدد المفاهيم الأساسية " الجنون في الفكر والأدب " وقُسمت إلى مبحثين، عُني المبحث الأول بتفكيك آليات السخرية من خلال: السخرية من الموقف، والسخرية من الشخصية، عبر رصد المظهر والسلوك وانحرافاتها عن السائد. في حين اهتم المبحث الثاني بالحجاج في النوادر العربية القديمة مبرزا مفهوم الحجاج والحجاج المغالطي، مع تدعيم ذلك بنماذج تطبيقية من النوادر تبين كيف أظهر المجنون ذكاءه اللغوي للعاقل وتوجيه الحجة المغالطة وإقناعه بها.

وفي الخاتمة خلصت الدراسة إلى أن الجنون في النوادر العربية القديمة لم يكن قصورا عقليا، بل شكل قناعا أيديولوجيا وأسلوبا حجاجيا واعيا، مكّن المتكلم من تمرير خطابات نقدية لاذعة وسخرية هادفة تخطت قيود الرقابة الاجتماعية والسياسية.

الكلمات المفتاحية:

خطاب الجنون، النوادر العربية، المقاربة التداولية، السخرية، الحجاج المغالطي.

Abstract :

This study entitled ¨The discourse of Madness in Acient Arabic Anecdotes ¨A Pramatic Approach. Seeks to examine the discursive structures of ¨madman ¨in the ancient Arabic heritage . It aims to uncover their communication intents and argumentation dimensions. Which trancensend the surfaice of absurdity into the depths of criticism and aweareness .The research relies on the pragmatic approach as the most appropriate tool for analyzing texts according to their contual and situatuational dimensions.as well as the speakers intentions.

The stady opens with an introduction that defines the core concepts ¨Madness in Thought and Literature¨. It is then organized into two chapters. The first chapter focuses on deconstructing the mechanisms of irony as a pragmatic strategy. Tracking ¨situational erony ¨based on paradox. And ¨character erony¨ by monitoring appearance behavior. And their deveations from the norm.

Meanwhile. The second chapter adresses the mechanisms of argumentation in the discours. Higlighting the concept of argumentation and the function of fallacious argumentation. Supported by applied models from the anecdoted that

demonstrate how the madman refuted his sane interlocutor thrower iinguistec cleverness and directed logical fallacies.

In the conclusion the study reveals that madnessin ancient arabic anecdotes was not a mental deficiency rather if formed an ideological mask and a conscious argumentative method that enabled the speaker to convey sharp critical discourses and purposefel irony . bypassining social and political censorship bonundaries.

مقدمة:

يعد سلوك الانسان مرآة تعكس أفكاره وطريقة فهمه للعالم من حوله، وغالبا ما يعبر هذا السلوك عن نفسه من خلال اللغة والكلام، فالإنسان كائن تواصل بطبعه، يسعى دائما للتعبير عن مواقفه ورؤاه عبر قوالب لغوية متنوعة. وفي التراث العربي الأصيل نجد أن سلوك الشخصية التي توصف بالجنون يظهر بشكل مميز ومثير للاهتمام داخل النادرة، فالمجنون في هذه النصوص لا يتصرف بعشوائية أو عبث، بل يستخدم النادرة كفضاء حر ليعبر من خلاله عن ذكاء خفي ورؤية نقدية عميقة للمجتمع وتناقضاته. لذا فإن دراسة سلوك هؤلاء في كل نادرة تكشف لنا كيف يمكن للكلمة البسيطة والساخرة أن تحمل خلفها معاني فلسفية واجتماعية كبرى، وتتحول مجرد سلوك يوصف بالغرابة الى خطاب تداولي قوي يهدف الى إحراج الخصوم أو السخرية من واقعهم بأسلوب ممتع وواضح يجمع بين الاضحاك والاقناع.

ومن هذا المنطلق الفكري جاء اختيارنا لموضوع البحث الموسوم ب:"خطاب الجنون في النوادر العربية القديمة مقاربة تداولية"، حيث يهدف هذا البحث الى الكشف عن كيفية حضور المجنون في النوادر العربية القديمة، وفي إعادة الاعتبار لهذه الشخصيات المهمشة في التاريخ الأدبي، ودراسة كلامها ليس كهذيان، بل كفعل تواصل ذكي وفعال. ويسعى هذا البحث الى الإجابة على إشكالية جوهرية مفادها: كيف استطاع المجنون أن يحول النادرة من مجرد حكاية عابرة تثير الضحك الى استراتيجية كلامية منظمة لممارسة النقد؟ وماهي الآليات التداولية (السخرية والحجاج) التي جعلت من كلامه خطابا ذا قوة إقناعية تتجاوز سلطة القارئ؟، واعتمدنا في هذا البحث على المنهج التداولي باتخاذ الحجاج مبحثا من مباحثه، مما ساعدنا في فهم النصوص وتحليلها بأسلوب دقيق. وقد تم تقسيم البحث إلى تمهيد نظري معنون ب «الجنون في الفكر والادب"، والذي تناول: مفهوم الجنون، والجنون في الفكر والأدب، ثم مبحثين تطبيقين، فالمبحث الأول بعنوان: " السخرية في النوادر العربية القديمة"، والمبحث الثاني بعنوان: " الحجاج في النوادر العربية القديمة "، لتخلص الدراسة الى خاتمة احتوت على نتائج البحث،

ويجدر بنا الإشارة إلى أهم الدراسات السابقة حيث استعننا بطروحات " ميشيل فوكو " حول تاريخ وفلسفة الجنون،

ورغم الشغف الكبير بإتمام هذا المشروع العلمي، الا أن الرحلة لم تكن سهلة، فقد واجهتنا جملة من الصعوبات، كان على رأسها اتساع موضوع الجنون وتشعب مرجعتيه بين الأدب

والدين وعلم النفس، مما جعل عملية حصر المراجع واختيار الأنسب منها مهمة شاقة تتطلب الكثير من التأني. علاوة على ذلك، واجهنا تحديات ترتبط بضيق الوقت المخصص للبحث، زاد من حدتها تعرضنا لبعض المشاكل والوعكات الصحية الطارئة التي تسببت في تعطل مسير الاعداد لفترات متقطعة، وبذلنا جهدا مضاعفا لتعويض ما فات وضمان خروج المذكرة في أبهى صورة ممكنة.

وفي الأخير أتقدم بالشكر والامتنان للأستاذة المشرفة " هاجر مدقن " على جهودها المبذولة في الدعم والتوجيه وحسن الاستقبال، فلها كل التقدير والاحترام، آمل أن نكون قد ساهمنا مساهمة ولو بسيطة في إثراء البحث العلمي.

وختاما نحمد الله ونشكره على المنة والتمام، وعلى رحمته واحاطته بنا في كل خطوة من خطوات الرحلة العلمية.

ورقلة في:22 .05. 2026 .

تمهيد:

يعد موضوع الجنون من المواضيع التي لقيت اهتماما واسعا بالمفكرين والأدباء في التراث العربي، حيث لم يقدم المجنون بوصفه فاقدا للعقل فحسب، بل كشخصية تحمل أبعادا رمزية ودلالات عميقة، فكثيرا ما نجد هذا في جنس النادرة، حيث استثمرت الشخصية في النوادر العربية القديمة في صياغة مواقف طريفة تنطوي على نقد اجتماعي وثقافي مبطن يعبر عنه بأسلوب ساخر ومفارق.

مفهوم الجنون:

لغة:" كلمة مأخوذة من الفعل الثلاثي " جنن "، يقال " جنّ الشيء يجنه جنا "، أي ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك، وجنه الليل يجنه جنا وجنونا وجن عليه يجن جنونا وأجنه: كلها بمعنى ستره "[1] ويقال أيضا في معنى الجنون أنه به سمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار.

كما أن للجنون معنا آخر غير الستر، فقد أُسند فعل الجنون للنباتات والحيوانات، يقال: جنت النبتة واكتهلت وكبرت وعظم حجمها" "[2]، أيضا قيل: " نخلة مجنونة" "[3] إذا طالت وبسقت، وقيل في الحيوان: "ناقة مجنونة" إذا اشتدت سرعتها، كما نسب فعل الجنون لبعض الحشرات، فقالوا: "جن جنون الذباب" إذا قوي طنينه وكثر ترنمه في طيرانه، ويقال «جنت الأرض" "[4] إذا فاءت بشيء معجب.

وهذه الاستعمالات تحمل معننا واحدا وهو أن تجاوز الحدود المألوفة والخروج عن النمط المعتاد يوصف بالجنون.

اصطلاحا: يعرف الجنون في الاصطلاح على أنه زوال العقل أو فساده حيث تغيب القدرة على التمييز.

" والجنون هو اختلال العقل بحيث يمنع من صدور الأفعال والأقوال على نهج العقل الا نادرا والمجنون غير مكلف "، بمعنى أنه إذا غاب العقل عن الانسان فإنه يصبح غير مطالب بالواجبات أو غير مكلف.

---

[1] - ابن منظور لسان العرب، ص 516، 517.

[2] - أحمد خصخوصي، كتاب الحمق والجنون في التراث العربي القديم، دار النشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـ الحمرا ـ شارع أميل اده ـ بناية سلام ـ.ص43

[3] - المرجع نفسه، 43.

[4] - المرجع نفسه. ص44

وللتوصل الى مفهوم دقيق للجنون يجب التمييز بين مفهومين للجنون:

ـ المعنى الدارج للجنون: وهو التصرف أو السلوك الذي يخالف السائد والمعتاد عنه.

ـ المفهوم العلمي للجنون: فهو مرض ناتج عن خلل في الدماغ بسبب الوراثة أو وظائف في الجسم مما يجعل الشخص غير قادر على التمييز بين الخطأ والصواب.

الجنون في الفكر:

لا تقتصر ظاهرة الجنون في الفكر بوصفها اضطرابا نفسيا على الفرد فحسب، بل تمتد لتشمل مجالات التاريخ والفلسفة وعلم النفس وأدب النوادر، مما يجعلها ظاهرة مركبة ذات أبعاد متنوعة.

أ) في التاريخ: يعد التاريخ المختبر الحقيقي لوصف مختلف الظواهر البشرية فهو الذي يرصد ولادتها وتطورها وإعادة تشكيل الوعي البشري لها مع مرور الزمن، حيث يتتبع كيف انتقل الجنون من كونه لغزا ميثولوجيا محاطا بالهيبة والرهبة في العصور الغابرة الى أن صار في النوادر العربية القديمة ظاهرة أدبية تعكس ذكاء المجتمع وقدرته على نقد ذاته من خلال أقنعة اللاعقل.

فإن الجنون ليس ظاهرة جديدة بل كانت منذ القديم، حيث أن تفكير الإنسان البدائي القديم ليس ساذجا في طريقة تعامله مع المجنون، انما ربط مفهومه بالأمور الغيبية، فالمجنون عنده ليس مريضا يحتاج الى طبيب، انما كان شخصا مختلفا يقع تحث تأثير قوة خفية تمثلت في جنون أو أرواح حلت في جسم الانسان العادي، فأدى ذلك الى تصرفاته الغريبة الغير معتادة على الكائن البشري.

" و حين نتطلع الى تاريخ الإنسانية مع الجنون نجده تاريخا موغلا في القدم ، الأمر الذي يدفعنا الى تتبع خيوط التقاء الميثولوجيا بظاهرة الجنون"[5]، فالجنون ليس ظاهرة جديدة بل كانت منذ القديم ، ففي البداية كانت فكرة سائدة عند بعض الجماعات البشرية مثل الهنود الحمر فقامت هذه الفكرة على رؤية روحانية فلم ينظر للمجنون على أنه شخص مريض جسديا، بل كشخص يعيش صراعا داخليا في عالم الأرواح ، فيتم علاجه بطرقهم البدائية من خلال عملية تعرف عندهم قديما بالتربنة ، "... مثل قبائل الهنود الحمر القدامى ـ بوجود أرواح طيبة و

[5] - وسام حسين جاسم العبيدي، صورة المجنون في المتخيل العربي، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، 2016، ص43.

أخرى شريرة تملأ الكون ، و قد تتلبس بعض الأفراد و يحتاج الأمر الى اجراء (عمليات تربنة)"، و هي عملية تقوم على احداث ثقب في جمجمة الشخص المصاب اعتقادا منهم أن ذلك الثقب يسمح لتلك الأرواح بالفرار من جسد المصاب الا أن هذه الممارسة تؤدي بصاحبها للموت أو الجنون، و هاته المعالجة لظاهرة الجنون قديما كان هدفها تخليص المصاب من آلامه التي يعاني منها، و لكن من الواضح أنه كان يتم استخدامها لإبادة المجانين و التخلص منهم .

يعكس تاريخ الجنون تحولا جوهريا في الوعي البشري، فقد انتقل من المرحلة الميثولوجية الى مرحلة العصر الجاهلي التي عانى منها الباحثون بسبب شح المصادر فاكتفت بوصف الجنون في الشعر، كما عند طرفة بن العبد في قوله:

أصحوت اليوم أم شاقتك هر ومن الحب جنون مستعر

وفي هذا البيت يشار الى أن الجنون يمكن أن يكون سببه الغرام المفرط مما يؤدي بصاحبه للجنون، وأيضا في معلقة عمر بن كلثوم:

ومأكمة يضيق الباب عنها وكشحا قد جننت به جنونا

وهذا البيت يشير الى حالة الذهول وفقدان الرشد من شدة الافتتان والجمال، حيث يتحول الغرام المفرط الى حالة الجنون.

وكذلك في بعض أشعار العرب في الجاهلية يرون أن المجنون والأحمق في مرتبة واحدة

يقول قيس بن الخطيم:

أما الفؤاد فناصح فيما بدا والقول قول الأحمق المجنون

فهنا البيت يصور حالة الصراع بين وعي القلب واضطراب اللسان، فيغلب الحب على رزانة الشخص، فيبدو أمام الناس في صورة الأحمق الذي ينطق بكلام المجانين رغم سلامة فؤاده.

ومع بزوغ فجر الاسلام انتقلت ظاهرة الجنون من حيز التوصيف الشعري والارتباك الوجداني الذي ساد الجاهلية الى مرحلة الضبط التشريعي والإنساني، حيث وضع الإسلام أسس التراحم والمسؤولية برفع القلم عن المجنون، وذلك بترسيخ النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ الحماية القانونية والشرعية للمجنون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثةٍ: عنِ النَّائمِ حتَّى يَسْتَيقظَ، وعنِ الصَّبيِّ حتَّى يبلغَ، وعنِ المجنونِ حتَّى يَعقِلَ»، فهنا يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الله لا يحاسب هؤلاء الثلاثة لغياب عقولهم.

النائم لأنه غائب عن الوعي حتى يصحو، والصغير لأنه لا يدرك مصلحته حتى يكبر، والمجنون لأنه فاقد للعقل حتى يعقل. وكما وردت لفظة الجنون في عصر صدر الإسلام في القرآن الكريم في مواضع عديدة، غالبا ما كانت صفة ألصقها الخصوم المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث وصفوه بالمجنون لتكذيب دعوته والطعن فيها، فبالقرآن الكريم نفى الله عنه تلك الصفة ونزهه عنها مؤكدا سلامة عقله وصدق وحيه.

فكان التوظيف القرآني للفظة الجنون مرادفا للعجز العقلي أي اختلال العقل، ومن الآيات قوله تعالى: «وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ (6)»[6]

وقوله أيضا: «مَا أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُون(2)»[7]

فجاء القرآن الكريـــــــم يرد على ذلك الاتهام بنبيه الكريم بقوله تعالى: «وَمَا صَاحِبُكُمُ بِمَجۡنُونٖ (22)»[8] وغيرهم من الآيات المذكورة في القرآن الكريم.

ومع اتساع رقعة الدولة في العصر العباسي تحولت ظاهرة الجنون من الضبط التشريعي الذي أقره الإسلام برفع القلم عن المجنون الى مضلة شرعية سمحت بظهور أدب النوادر

حيث استمر الأدباء والمفكرون كالجاحظ والنيسابوري في سرد قصص المجانين، فالنيسابوري الذي اعتبر أول من جعل للمجانين كتابا خاصا بهم بعد أن كانت كتبهم مبعثرة في الكتب القديمة، فهو لم يجمع قصصهم للضحك فقط، بل رأى في كلامهم حكمة ومواعظ لا يقولها العقلاء، ولهذا أعد النيسابوري كتابه " عقلاء المجانين " ليكون مرجعا متخصصا يجمع مواقفهم محولا قصصهم من مجرد حكايات للتسلية الى وسيلة للوعظ والارشاد، وأما الجاحظ فقد جعل أخبار المجانين والحمقى مادة للتسلية والترفيه، وهذا ما أشار اليه في قوله. " وأحببنا ألا يكون في مكان واحد إبقاء على نشاط القارئ والمستمع"[9]

ويرى المسعودي أن الجاحظ " كان إذا تخوف من ملل القارئ وسآمة السامع خرج من جد الى هزل ومن حكمة بليغة الى نادرة لطيفة " [10]

حيث يرى الجاحظ من خلال هذه العبارة أن استخدام الفكاهة والنوادر كأداة ذكية لدفع الملل عن القارئ مما يضمن استمرار تشويقه وجذبه للموضوعات الجادة عن تلطيفها بالهزل ولهذا

---

[6] - سورة الحجر الآية 6.
[7] - سورة القلم الآية 2.
[8] - سورة التكوير الآية 22.
[9] - الجاحظ البيان والتبين، مجلد2، ج4 مكتبة الخامجي: القاهرة، الطبعة 1418،7هـ،1998م، ص 5.
[10] - المسعودي مروج الذهب، ج4 ترجمة محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ص 195، 196 .

أعد النيسابوري كتابه "عقلاء المجانين"، مستفيدا من الإرث الجاحظي، حيث جعل من النوادر غطاءا يمرر من خلاله الحكم البليغة والمواعظ، تماما كما كان يفعل الجاحظ في كتبه.

ب) الفلسفة:

لم تترك الفلسفة مجالا إنسانيا دون التطرق اليه، فأغلب المفكرين الفلاسفة يرون أن الجنون حالة من الانفصال عن الواقع تمنح المبدع رؤية ما لا يراه الإنسان العادي، يقول جاك لاكان:" ليس المجنون من فقد عقله بل المجنون هو الذي فقد كل شيء ما عدا العقل"، أي أن المجنون هو الذي بقي لديه عقل يعمل به في عالم فُقد فيه كل ماله صلة بالواقع. وقد أشارت الفلسفة الى وجود علاقة بين الجنون والعمل الأدبي، حيث أن أفلاطون كان أول من تنبه الى تلك المسألة فأكد أن أغلب العباقرة يعيشون كأنهم خارج الزمن عكس الناس العاديين، وهذا يشير الى أن أصحاب الأعمال الإبداعية والأدبية بعقول مختلفة عن أغلب الناس.

" أما الفلاسفة فقد وصف بعضهم بالجنون لأنهم يرون حقيقة السلوك عند أفراد المجتمع

و من ثم يسخرون من تناقضهم في الأقوال و الأعمال " ، فالفيلسوف يبدو مجنونا في نظر الناس لأنه يرى ما لا يرونه ، ويقول مالا يريدون سماعه و من هؤلاء الفلاسفة نذكر الفيلسوف اليوناني " ديموقريطس " الذي وصف بالجنون لأنه كان يضحك كثيرا و بشكل غير مألوف ، فالمجتمع فسروا هذا السلوك على أنه جنون الى أن استدعوا الطبيب " أبقراط " لعلاجه ظنا منهم أنه مريض لكن النتيجة كانت عكس المتوقع فلم يكن فيه أي خلل عقلي بل اكتشف الطبيب أن ضحكه نابع من فهم عميق لطبيعة البشر من خلال رؤيته لتناقضات الناس و ملاحظة تصرفاتهم الغير عقلانية .

فهنا نجد أن الفلسفة من صورة المجنون تلتقي من كون كل من الفيلسوف مثل " ديموقريطس " وشخصيات التراث العربي مثل "بهلول "، يتخذان من الجنون قناعا لكشف تناقضات المجتمع والسخرية من سلوك أفراده، كما في ضحك "ديموقريطس" على حماقات البشر، وكما في بهلول حيث كان يجيب الحاكم والناس بإجابات تبدو عبثية، لكنها تحمل حكمة وانتقادا مبطنا للواقع.

وكذلك من بين أبرز الفلاسفة الذين اهتموا بظاهرة الجنون نجد الفيلسوف " هيجل " الذي يرى أن الجنون يقع داخل الفكر، بمعنى القدرة على تأمل الذات التي تميز الإنسان وهي

ذاتها التي تفتح الباب للجنون " وقضية الجنون بصورة أخرى هي التي تحول جوهر الفكر، وعلى وجه التحديد الى قضية، فالقدرة على تأمل الذات كانت من نصيب الإنسان نفسه "[11]

وقد ذهب اليه " هيجل " فيرى أن الفكر يقع داخل الجنون وبالنسبة لنيتشه لا يوجد عقل خاص، فالعقل هو مجرد نتفة أو جزء صغير وسط بحر من الجنون، وهو يرى أن الحكمة والجنون يمتزجان بكل الأشياء، وأن حب الجنون هو ما يجعل الحكمة ممكنة " هناك أمر واحد سيظل ادراكه مستحيلا الى الأبد: ألا هو أن تكون عاقلا اذ ليس هنالك سوى نتفة من عقل، ومثقال حبة من حكمة ... تمتزج بكل الأشياء ".

ومن أبرز الفلاسفة الغربيين الذين قرئوا ظاهرة الجنون في العصور السابقة الفيلسوف " باسكال " فنجدة يقول: الناس مجانين بالضرورة، أما كونهم غير مجانين فصورة أخرى من صور الجنون ". فهنا يرى باسكال أن الطبيعة البشرية متناقضة ومليئة بالضعف والغرور فالبشر يهربون من الحقيقة عبر أوهام وتصرفات غير منطقية، ومن يظن أنه عاقل تماما وخال من هذا الجنون البشري فهو في الحقيقة يعيش حالة من الوهم أو الجنون المنظم لأنه ينكر طبيعته المنقلبة.

ج) في علم النفس:

يعد مصطلح الجنون مصطلحا تاريخيا قديما استخدم للإشارة الى الاختلالات العقلية الحادة التي تحدث تأثيرا في تفكير الفرد ونمطه السلوكي، وقد ساد في العصور القديمة أن المرض النفسي كان بمسببات مجهولة وغامضة، فجاء العلم الحديث ليفسر ظاهرة الجنون على أنها متعددة الأبعاد، حيث تتظافر العوامل الوراثية والبيئية والنفسية، ولا يتوقف الأمر عند ذلك بل قد يتفاقم المرض أو يظهر نتيجة لعوامل أخرى مثل التوتر الشديد، والأزمات النفسية المفاجئة ونقص التغذية، أو التأثير السلبي للمواد المخدرة والمسكرة.

وشهدت الرؤى والتصنيفات المتعلقة بظاهرة الجنون تحولات جذرية عبر العصور المختلفة ووفقا للسياقات الثقافية المتباينة، فبينما ظل مفهوم الجنون في العصر الكلاسيكي حبيس الأطر الأخلاقية والدينية بعيدا عن المنهجية العلمية، بدأت ملامح التغيير تبرز بوضوح مع حلول القرن الثامن عشر، في تلك الحقبة، ظهرت محاولات جادة لإخضاع الأمراض النفسية للتصنيف العلمي كما يتضح في أعمال "دوفوساج" و "دوبليه"، " ان مفهوم الجنون في العصر الكلاسيكي بقي أخلاقيا دينيا ولم يعتمد على النظرة العلمية. أما في القرن الثامن عشر، فقد جرت بعض المحاولات لتصنيف الأمراض ومن بينها أعمال (دوسوفاج) و (دوبليه)"،

[11] - وسام حسين جاسم العبيدي صورة جنون في المتخيل العربي، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، 2016، ص .43.

وهو ما مثل نقلة نوعية في الوعي الإنساني. فبعد أن كان الفهم السائد يحصر الاضطرابات العقلية في دائرة الخطأ أو يراها دليلا على العقاب الإلاهي مما جعل العلاج مقتصا على الطقوس الدينية والوصفات التقليدية، بدأت الدراسة تتجه نحو مؤسسة المرض العقلي وفهمه كحالة طبية تحتاج الى التفسير العلمي والمنهجي.

وفي القرن العشرين حدثت النقلة الحاسمة على يد الطبيب السويسري " بلويلر" في سنة 1911، والذي صاغ مصطلح "الفصام" ليصبح بديلا علميا للجنون، مؤسسا بذلك لنهج يدمج بين الأبعاد العضوية والنفسية. وهذا المنظور الشامل لم يساهم فقط في تطوير الوسائل العلاجية، بل كشف أيضا مدى تأتي الصحة النفسية للإنسان بضغوطات العالم الجديد وتناقضاته، مما دفع بعض علماء النفس لاستخدام مصطلح الجنون في سياقات جديدة كإشارة رمزية لخطورة انتشار الفصام والاضطرابات الناتجة عن التحديات البيئية والاجتماعية المتسارعة التي تهدد استقرار الفرد.

د) في الأدب:

حظيت ظاهرة الجنون بمكانة مركزية في الأدب العربي، فلم تكن مجرد توصيف طبي بل استخدمت كأداة فنية فلسفية لنقد المجتمع أو كشف الحقائق التي يعجز العقلاء عن النطق بها، فقد تمثلت هذه الظاهرة في الأدب عبر العصور.

ففي العصور القديمة لم ينظر للجنون كمرض عضوي، بل نُظر اليه من أبعاد ميتافيزيقية، فالمجنون اما ممسوس بقوى عليا أو مبارك يرى ما لا يراه العقلاء. وفي المنظور الأدبي رُبط الجنون بالإلهام الشعري ذلك عند العرب واليونان، أما في التراث العربي فظهرت كتب اهتمت بظاهرة الجنون والمجانين، فنجدها عند والجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه والنيسابوري وغيرهم من الادباء الذين خصصوا في أعمالهم الأدبية جزءا لفئة المجانين.

1) ظاهرة الجنون عند الجاحظ:

سرد الجاحظ أخبار المجانين على سبيل التسلية والترفيه فيرى المسعودي أن الجاحظ "كان إذا تخوف ملل القارئ وسآمة السامع خرج من جد الى هزل، ومن حكمة بليغة الى نادرة لطيفة" '[12]'.

أي أن الجاحظ كان يغير أسلوبه، فاذا خاف أن يمل القارئ ينتقل من الكلام الجاد والحكيم الى كلام خفيف وطريف، حتى يبقى القارئ مهتما ومستمعا، كما يرى أمجد الطرابلسي أن طريقة الجاحظ في التأليف تحكمها بعض الأسس: ـ تكريس سلطة الثقافة الموسوعية.

ـ الاستطراد المستمر ـ وبروز الطابع التعليمي.

اذن فان الجاحظ قد أو رد أخبار المجانين في سياق امتاع القارئ وطرد السآمة عنه.

2) ظاهرة الجنون عند ابن قتيبة:

جعل ابن قتيبة أخبار المجانين في كتابه الذي سماه " كتاب الطبائع والأخلاق "حيث يقول: وفيه الأخبار عن تشابه الناس في الطبائع وذمهم عن مساوئ الأخلاق من الحسد الغيبة والسعاية والكذب وسوء الخلق والجوار والسباب والحمق ونوادر الحمقى "، وهنا يرى ابن قتيبة أن الناس يتشابهون في طبائعهم فعرض جملة من مساوئ الاخلاق، وذكر الحمقى بهدف النقد والتنبيه والتحذير.

ومن الواضح من تقسيم ابن قتيبة أن طبيعة النظر الأخلاقية حكمت علاقته بأخبار المجانين الحمقى ونوادرهم فهم في حالة واحدة مع سفلة القوم وبخلائهم، وعلى هذا الأساس فالمجانين والحمقى عند ابن قتيبة عتبة نحو التهذيب والتقويم، من خلال ابراز ما حرموا منه من العقل وحسن الرأي'[13]'.

3) ظاهرة الجنون عند ابن عبد ربه:

جعل ابن عبد ربه في كتابه " العقد الفريد " أخبار المجانين والحمقى مادة للتأمل واعمال الفكر لأنها " حدائق مونقة ورياض زاهرة لما فيها من كل طرفة ونادرة فكأنها أنوار

[12] ـ المسعودي، ترجمه محي الدين عبد الحميد مروج الذهب، المكتبة العصرية، بيروت، ص249
[13] ـ مراد المتيوي، خطاب الجنون حفريات في الثقافة العربية، ص 124

مزخرفة دانية القطوف، من جاني ثمراتها قريبة المسافة لمن طلبها، فإذا تأملها الناظر وأصغى اليها السامع وجدها ملهى للسمع ومرتعا للنظر وسكنا للروح ولقاحا للعقل".

فهذا النص يكشف عن استحضار ابن عبد ربه لأخبار المجانين جاء مرتبطا بأهداف تربوية، فالسمع يداوي بواسطتها، والنظر يستمتع بأشكالها، ولقد رسم لنا ابن عبد ربه صورة يختلط فيها الجد بالهزل، والعقل باللاعقل، فمن خلال مقدمته تتبين منهجية ابن عبد ربه في التعامل مع هذه الظاهرة.

وفي كتابه أيضا " الجمانة الثانية " أدرج ابن عبد ربه الممرور والبخيل والطفيلي، ومن الملاحظ أنه يساوي بين الممرور والمجنون والموسوس والبهلول والأحمق والنوكي، فهم عنده وسيلة فقط لأنه لا يكتفي بإيراد الخبر دون الاهتمام بالأسانيد: " أن ما يهمه في

الأصل هو طبيعة الخبر الذي لا يخلو من ميزة "[14].

ويتضح هذا من كلامه عن حكم المجانين حيث يأتي لهؤلاء كلام نادر محكم لم يسمع بمثله.

ومن خلال عرض ابن عبد ربه لكلام المجانين فيتضح لنا أن جميع أخبارهم تتميز بأحكام أو بفطنة توجه ضد الأشراف والعظماء أو الخلفاء، فالمجنون يتميز عن الأشخاص الآخرين بأنه أكثر شجاعة وجرأة لقدرته على التخلص من المآزق ورد الكلام لأصله حتى ولو تعلق بأمر الخليفة.

4) ظاهرة الجنون عند النيسابوري:

يعتبر كتاب النيسابوري " عقلاء المجانين " أول كتاب ألفه خاصا بفئة المجانين، والملاحظ أنه لا يخبر بدوافع اهتمامه بهذه الفئة، بل كان من الحاح أصحابه على تأليف هذا الكتاب حيث صرح في ذلك باطلاعه على الكتب التي عالجت الموضوع " وكنت في حداثة سني سمعت كتبا في هذا الباب "، "مثل كتاب الجاحظ وكتاب ابن أبي الدنيا ...ألفت هذا الكتاب على غير سمت تلك الكتب "[15].

فالمجنون عنده ليس للإمتاع واللهو بل لكشف الحقائق ولتعرية المجتمع ولتصحيح الأفكار، فالمجنون عنده احتل مكانة مميزة، حيث يمكن أن يوضع في دائرة المبدع، والناقد

[14] - مراد المتيوي خطاب الجنون، ً124.
[15] - ابن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، ص15

الحكيم، ذلك أنه وصفه للجنون نابع من مخالفته للنسق السائد ، حيث ذكر من ضمن تعريفات المجنون : أنه من يخالف الناس في عاداتهم ، فيجيء بما ينكرون ، فهم لم ينظر اليهم بشكل هامشـــــي، و لم يسق أحاديثهم مساق الهزل و الترويح عن القارئ فقط ، بل يمكن أن نتبين دوافع المؤلف من وراء كتاباته عنهم من خلال ما سرده عنهم : من أقوال حكيمة و أفكار عميقة تسهم في تغذية الفكر و تعديل السلوك .

المبحث الأول: السخرية في النوادر العربية القديمة

- مفهوم السخرية

- مفهوم النادرة

ـ السخرية من الموقف

ـ السخرية من الشخصية

- التمثيل التطبيقي من النوادر

تعد النادرة جنس أدبي مستقل حظي باهتمام الأدباء كالجاحظ لكنه لم يعط لها تعريفا محددا، وقد عرفها محمد رجب النجار بانها أقصوصة مرحة، تتكون من وحدة سردية مستقلة بذاتها، تتسم بالإيجاز بل هي ممعنة في القصر، محدودة الخاصيات نمطية الأبطال تتكون من عنصر قصصي واحد. يدور موضوعها حول وقائع الحياة اليومية والتجارب الشخصية الإنسانية "[16]".

أي أننا نستطيع القول بأنها المرحلة الأولى للإبداع القصصي.

فالنادرة فن قصصي قصير وممتع يعتمد على سرد موقف واحد محدد ومستقل، ويركز محتواها بشكل أساسي على تفاصيل الحياة اليومية والمواقف الواقعية التي يمر بها الإنسان في تجاربه الشخصية.

وقد" تغلب على هذه الحكايات المفارقات التي يستحدثها الغباء أو البلادة "[17]".

أي أن الفكاهة في هذه القصص تعتمد على المفارقة، وهي التناقض بين ما هو متوقع وما يحدث فعلا بسبب نقص ذكاء الشخصية، فالمواقف المضحكة تنشأ حينما يتصرف البطل ببلادة أو سوء فهم شديد للواقع مما يخلق فجوة ساخرة تثير ضحك القارئ وتعجبه من غياب المنطق.

مفهوم السخرية:

لغة:

تشير الدلالة اللغوية للسخرية الى ما يلي: "سَخر منه وبه سَخرا وسُخرا ومُسخرا بالضم وسُخرة وسخريا وسخرية: هزأ به." المرجع لسان العرب، ابن منظور، مادة سخر.

بمعنى الهزء والاستخفاف بالآخر.

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: «وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) »، وقال تعالى أيضا « لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ»"[18]

[16]- ركان الصفدي، الفن القصصي في النثر العربي الهيئة العامة السورية للكتاب، الطبعة الأولى 2011، ص 235
[17] - علي محمد السيد خليفة. فن النادرة عند الجاحظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر 2016، الطبعة الأولى 40،41
[18] - سورة الحجرات - الآية 11

وجاء في معجم العين: سخر: سخر منه وبه، أي استهزأ، والسخرية مصدر في المعنيين جميعا، وهو السخري أيضا، ويقول نعتا كقوله: هم لك سخري وسخرية مذكر ومؤنث من ذكر قال: سخري ومن أنت قال سخرية والسخرية: الضحكة"[19].

وخلاصة القول من خلال التعريفات اللغوية للسخرية نستنتج أن السخرية تعني الاستهزاء والضحك والاستخفاف.

اصطلاحا: السخرية هي استراتيجية نقدية تعتمد على أحداث مفارقة بين الظاهر والباطن وتقوم على المفارقة والاستبدال

" إن السخرية بمفهومها المطلق من خلال السياق الاستبدالي 1 (الاستبدال يقوم على الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المجازي وهو مفهوم يتقارب مع الاستعارة في البلاغة العربية)، الذي تم ترسيمه من قبل أرسطو سابقا، فهو تأويل وإعادة صياغة للمفهوم اللفظي الظاهر، وهذا التأويل يقوم على إعادة قراءة النص وكل بالمضمر المخفي، وبالتالي يتبين عنصر السخرية بحسب المقام الذي قيل فيه أو الحاجة التي دعت إليه" '[20]

وقد استعملت السخرية من أجل أغراض عديدة من بينها الترويح عن النفس واستنكار شيء أو الهزء أو التندر بالخصوم

"السخرية قديمة قدم الإنسان لأنها قد تكون ترويحا عن النفس أو تسرية عن القلب أو استنكار لما يقع أو هزء أو تندر بالخصم، كما جاء في قصة نوح عليه السلام حين أمر بصنع السفينة ليجمع فيها كل زوجين إثنين وأهله وقرابته المؤمنين ومن آمن به واتبعه. هزأ به قومه وضحكوا" '[21].

وقد تجاوزت السخرية حدود المنطوق اللفظي لتشكل منظومة من الأفعال والرموز التعبيرية التي تهدف في جوهرها الى التحقير، فهي تتبدا في ثلاثة مستويات: مستوى اشاري يعتمد على لغة الجسد وملامح الوجه، ومستوى قولي يوظف الخطاب اللساني للازدراء، ومستوى علمي يتجسد في ممارسات تهدف الى التشهير الاجتماعي

[19] - الخليل بن أحمد الفراهيدي معجم العين، دار الكتب العلمية، ط1، سنة 2003م، ص222
[20] - بن رشيد العضياني، تداولية الخطاب الساخر في مقامات ابن المعظم، صالح كنوز المعرفة، ص27
[21] - عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيـــع والإعلان، ليبيا، ط 1، 1997، ص 64

(كوسم المخالف أو تلطيخه) وبذلك تصبح السخرية فعلا علينا متلونا يراوح بين القسوة واللطف.

" السخرية كل ما يؤدي الى الاستهزاء والتحقير وليس لها صورة أو سلوك معين فقد تكون بالإشارة كالنظر المصحوبة بالاحتقار وبما يلابسها من وضوح هذا الاحتقار في ملامح الوجه قد تكون السخرية بالقول كما يعبر شخص بأسلوب لفظي معين عن سخريته واحتقاره، وقد تكون بالعمل كما يفعلون باللص في بعض البيئات البدوية حيث يضبطونه متلبسا بالسرقة بأن يطلونه بلون معين من مادة الجير أو الطين ثم يطوفون به البلدة مشهرين به"[22].

اذن فالسخرية هي كل ما يؤدي للتحقير والاستهزاء سواء كانت بأسلوب قاس أو لطيف، وجاءت السخرية في عدة أساليب، اما بالإشارة أو بالفعل أو القول.

السخرية من الموقف:

تعددت معاني السخرية وهذا ما منح طاقة لاختراق كافة النصوص والظواهر كون أن السخرية تحولت إلى " رؤيا للعالم وموقفا من الأحياء والأشياء، ووجهة نظر وزاوية للرؤيا أكثر منها أسلوبا بلاغيا أو صورة من صور قلب المعنى، كما انتقلت من كونها صفة

للأشخاص، لسلوكهم وطريقتهم في الحوار والخطاب إلى حالة قابلة للملاحظة تظهر عن غير قصد في الأحداث والوقائع، حالة من التناقض أو المفارقة الموجودة بالقوة في هذه الأحداث والوقائع "[23]

فقد اعتمدت السخرية على فكرة التناقض فهي أداة تسمح لنا بكشف زيف الأمور عبر رؤية الجوانب المتناقضة فيها، فالسخرية لم تعد مرتبطة بشخص ساخر فقط، بل أصبحت حالة واقعية نلمسها في المواقف التي يظهر فيها تضارب غريب، فهنا يمكننا فهم سخرية المجانين، بل هو يعتمد على المفارقة القوية التي تكشف أخطاء العقلاء وتناقضات المجتمع بطريقة غير مباشرة.

وقد تجاوزت السخرية الضحك، لتصبح وسيلة لتعميق الوعي بوصفها أداة نقدية، فهي تدفع الإنسان للتوقف عن النظر والغوص في المعاني الخفية وراء الكلام، من خلال تسليط الضوء على التناقضات والتعقيدات التي تميز واقعنا.

---

[22] - عبد الحليم حنفي، التصوير الساخر في القرآن الكريم، الهيئة المصرية للكتب، 1992، ص 14

[23] - مراد المتيوي خطاب الجنون حفريات في الثقافة العربية، كنوز المعرفة ص 346

ويرى سليجيل أن السخرية تطلق على الموقف الذي يعترف بحالات التشابك والتناقض الملازمة للواقع".

أي أن السخرية أسوب تعبيري وهي رؤية كاملة. فالموقف الساخر هو الموقف الذي يقف فيه الإنسان متأملا للواقع والحياة، ليكتشف أنها ليست بناء منطقيا بسيطا، بل هي حالة دائمة من التشابك حيث تتداخل الأسباب بالنتائج بطرق غير متوقعة.

"برزت سخرية الموقف عند المجانين في علاقاتهم بالمجتمع عندما توظف لمناقشة حياة الناس عبر تمثلاتهم لمظاهرها، لهذا فقد رصدت انشغالات الناس وكشفت تاليا عن طبيعة المجتمع وآليات تفكيره (خاصة أن سخرية الموقف تتطلب متلقيا ماهرا قادرا على فك رموزها وتحديد العالم من خلالها) " [24].

أي أن سخرية الموقف عند المجانين برزت لمناقشة تناقضات الحياة الاجتماعية، فالمجنون ليس فاقدا للعقل بل هو ناقد ذكي ليستخدم تمثلات الناس وتصرفاتهم ليعيد صياغتها بشكل ساخر يكشف زيف عاداتهم وهشاشة آليات تفكيرهم فالسخرية تتطلب متلقيا ماهرا يمتلك بصيرة كافية لفك الرموز وتجاوز المعنى السطحي للموقف ليصل الى الحكمة المبطنة فيه.

نموج تطبيقي لسخرية الموقف:

" قال علي بن الحسن الرازي: مر بهلول بقوم من أصل شجرة، وكانوا عشرة، فقال بعضهم لبعض تعالوا حتى نسخر ببهلول، فجاءهم فقالوا: يا بهلول تصعد لنا رأس هذه الشجرة وتأخذ عشرة دراهم، قال: نعم، فأعطوه عشرة دراهم فصيرها في كمه ثم التف فقال: هاتوا سلما، فقالوا لم يكم هذا في الشرط، فقال: كان في شرطي دون شرطكم." [25]

هذه النادرة من نوادر بهلول الشخصية التراثية المشهورة بالذكاء تحت غطاء الجنون، تظهر لنا كيف أن بهلول قلب الطاولة بذكاء على مجموعة من أشخاص حاولوا السخرية منه واستدراجه، فهنا موقف بهلول كان موقفا ذكيا وساخرا فتعامل مع الأمور بظاهرها.

حيث أن علي بن الحسن الرازي يروي لنا أن بهلولا مر بجماعة من عشرة أفراد يجلسون تحت شجرة، فاتفقوا فيما بينهم على استدراجه والسخرية منه، نادوه قائلين " يا بهلول ان صعدت قمة هذه الشجرة فلك منا عشرة دراهم. فوافق بهلول على الفور، وقبض منهم

---

[24] - مراد المتيوي خطاب الجنون حفريات في الثقافة العربية، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع عمـــان شارع الملك حسين، ص 348.

[25] - ابن الجوزي، كتاب الأذكياء، دار الكتاب العربي بيروت، دار الأصالة الجزائر. ص162.

الدراهم العشرة ووضعها في كمه، ثم التفت نحوهم بكل هدوء، وقال أحضروا لي سلما، صدمهم الطلب فاحتجوا قائلين: هذا لم يكن جزءا من اتفاقنا، فأجابهم بهلول متهكما: لقد كان هذا في شرطي أنا ولم يكن في شرطكم.

وهنا يبدو أن بهلول اعتمد على المعنى الحرفي المباشر لطلبهم حيث استغل خلو كلامهم من أي شرط يحدد كيفية الصعود، لقد قبل بهلول التحدي ليجاري لعبتهم لكنه قلبها عليهم في النهاية، فتحولوا هم أضحوكة بعد أن كانوا يمنون أنفسهم بالتفرج عليه وهو يتعثر في تسلق الشجرة العالية ويضحكون من محاولاته الفاشلة.

وهنا تظهر سخرية الموقف في قلب الأدوار، فالقوم أردوا جعل بهلولا موضوعا للسخرية

فصاروا هم الضحية لذكائه.

وفي هذه النادرة تتجلى بعض الظاهر الخطابية للمنهج التداولي فنجد:

ـ الفعل الكلامي: ليس مجرد اخبار انما هو تحدي، فالفعل هنا يظهر في قول القوم: يا بهلول تصعد لنا رأس هذه الشجرة وتأخذ عشرة دراهم.

ـ الفعل االإنجازي: يظهر في التحدي والاستدراج والوعد بشرط، فالقوم هنا لم يخبروا بهلول بمعلومة، يقومون بفعل التحدي والالتزام بدفع المال، فهنا فعل تعهدي مشروط بهدف ايقاعه في الفخ والسخرية منه.

ـ الفعل التأثيري (النتيجة): يكمن في الأثر الناتج عن القول، حيث أن بهلول قبل العرض مباشرة وأخذ الدراهم، فالأثر هنا هو الذي أحدثه كلام القوم في بهلول، حيث دفعه الكلام الى الدخول في الرهان وقبض المال بدلا من الرفض.

ملاحظة: بالنسبة لأفعال الكلام (تصنيف أوستن لنظرية أفعال الكلام: الفعل القولي، الفعل الانجازي، الفعل التأثيري).

أيضا نجد تجلي الظاهرة الخطابية " الاستلزام الحواري " في هذه النادرة من خلال: أن القوم حين قالوا " تصعد الشجرة " كانوا يستلزمون حواريا أن الصعود يكون بالطريقة التقليدية (التسلق باليدين والرجلين)، فبهلول تمسك بالمعنى الحرفي وترك المستلزم بالنسبة له، فالصعود هو النتيجة والوسيلة (السلم) لم تحضر في نص العقد.

فهنا بهلول خالف مبدأ الكم ليحقق غرضه ولم يفصح عن نيته في استخدام السلم الا بعد قبض الثمن.

ملاحظة: الاستلزام الحواري يعني استنتاج المخاطب لمعاني خفية ولا مقصودة لا يصرح بها المتكلم، بل يفهم المعني الضمني من خلال السياق (حسب ما عرفه غرايس)

ـ قاعدة الكم: من احدى قواعد غرايس في مبدأ التعاون يقصد بها تقديم القدر الكافي من المعلومات.

وفي مثال آخر عن سخرية الموقف:

يروي الوطواط ان رجلين " تشاجرا في رجل ادعياه فقال أحدهما هو من طفاوة، وقال الاخر هو من بيني راسب وتحاكما الى جعيفران الموسوس، فقال: ألقوه في الماء فان طفا فهو من طفاوة وان رسب فهو من بني راسب، قال النسابون راسب بن سدعان بطن من الازد و طفاوة من ولد أعصر ".[26]'

أي أن الخصومة التي دارت بين رجلين حول أصل الرجل الثالث ونسبه بين قبيلتي طفاوة وبني راسب، لم يلجأ جعيفران الى المنطق التاريخي أو البحث في الانساب كما يتوقع الخصمان، بل لجأ الى سخرية فادحة تقطع الطريق الى جديتهما المفرطة.

فبتقديم مقترحه المضحك برمي الرجل في الماء ليحدد هويته بناءا على ما إذا كان سيطفو أو يرسب لم يكن يستهزأ بالأسماء فحسب بل كان يستخف بعبثية انشغال الناس بصراعات هامشية وتفاهات لا طائل منها.

وان جواب جعيفران يمثل ذروة سخرية الموقف، لأنه تعمد الابتعاد عن انتظارات السائلين ليوجههم بمرآة تعكس السذاجة لمنطقهم. لقد حول الجدال الفكري حول الأنساب الى فعل مادي هزلي مما أحدث صدمة في أدراك الحاضرين، هذه السخرية برغم قسوتها، هي في جوهرها فعل نقد اجتماعي بليغ يعرف بأن العالم مليء بالتشابك والتناقض وأن أفضل وسيلة لمواجهة عقم التفكير المجتمعي هي وضعه في موقف مضحك يكشف عورته الفكرية ويسقط هيبته الزائفة.

وفي هذا النموذج التطبيقي نجد تلاقيا بين المنهج التداولي ونظرية أفعال الكلام حيث تتحول السخرية من مجرد فكاهة الى فعل تأثيري يهدف الى تغيير قناعات المخاطب أو احراجه.

[26] ـ الوطواط غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، دار القلم، الطبعة الأولى، 1439ه، 2018م، ص78.

فالمنهج التداولي يدرس اللغة في أثناء الاستعمال، ويركز على السياق والمقصدية في النص وقد وظف هذا المنهج من خلال:

ـ **السياق**: والسياق هو صراع عبثي بين رجلين حول أنساب لا تنفع ولا تضر، فجعيفران استخدم لغة تناسب عبثية الموقف لا جدية السؤال.

ـ العلاقة بين المتكلم والمتلقي: النص اشترط وجود متلق ماهر والتداولية هنا تظهر في قدرة المتلقي على فك الشفرة وفهم أن جعيفران لا يتحدث عن الماء والسباحة بل يتحدث عن سخافة الجدال.

ـ **أفعال الكلام:** تظهر أفعال الكلام في إجابة جعيفران: (ألقوه في الماء فان طفا فهو من طفاوة وان رسب فهو من بني راسب).

ويمكن تحليل مستويات أفعال الكلام وفق ما يلي:

الفعل اللغوي: وهو القول الظاهري المجرد أي عملية إعطاء أمر برمي الرجل في الماء وتصنيفه بناءا على النتيجة.

ـ الفعل المتضمن في القول: وهنا تكمن سخرية الموقف فالفعل الحقيقي ليس أمرا بالرمي، بل هو فعل استخفاف ونقد وتجهيل للسائلين، فجعيفران يمارس فعل التوبيخ غير المباشر من خلال الإجابة الساخرة.

ـ **الفعل الناتج عن القول:** وهو الأثر الذي تركه القول في الرجلين، والأثر هنا هو الصدمة أو الاستخفاف بإدراكهما، وقد نجح الفعل الكلامي في تحويل الموقف من جدال جاد الى مشهد هزلي مما جعل السائل يشعر بتفاهة الموقف.

ومن خلال هذا فان المنهج التداولي وظف لبيان أن المعنى ليس فيما قيل بل فيما قصد به ضمن سياق اجتماعي معين، وأفعال الكلام كانت كأداة استخدمها المجنون لزعزعة استقرار عقول العقلاء، محولة الكلام من أداة للإخبار الى أداة للنقد والتحقير الساخر.

السخرية من الشخصية في النوادر العربية القديمة:

قامت النادرة العربية القديمة في كثير من أشكالها على السخرية من الشخصية، حيث اتخذت الانسان بمختلف صفاته مادة للتنكيت والتهكم، ويسعى هذا المبحث الى رصد ملامح هذه السخرية، وبيان كيف أن تحولت الشخصية في التراث القديم الى مرآة تكشف عيوب المجتمع ونقائصه بقالب ساخر.

ـ السخرية من المظهر:

" انتشر لون من السخرية يركز على ابراز المفارقات الجسدية للشخص وهي بمثابة صورة كاريكاتيرية تستدعي الضحك والهزء من المسخور منه، وعادة ما تأتي تحت مضلة الهجاء الساخر ".[27]

أي أن الكتاب والرواة القدامى لم يسخروا فقط من أفعال الشخص أو غباءه، بل سخروا أيضا من جسده وعيوبه الخلقية ومظهره بالكلمات ليصنعوا منها مضحكة أو كاريكاتيرية تهدف الى التقليل من الشخص.

يقول الأصفهاني ساخرا من المغيرة:

وجه المغيرة كله أنف موف عليه كأنه سقف

رجل كوجه البغل طلعته ما ينقضي من قبحه الوصف

من حيث تأتيه تبصره من أجل ذلك أمامه خلف

فهنا الشاعر في هذه الأبيات يسخر من شكل "المغيرة" بطرقة مضحكة، فيصف أنفه بأنه ضخم جدا مثل السقف الذي يغطي وجهه، ويشبه ملامحه القبيحة بوجه البغل، وفي الأخير يبالغ في السخرية حتى أنك لا تستطيع أن تميز وجهه من ظهره من أي جهة جئت اليه.

وكما جسد الشعر السخرية من مظهر الشخصية وسلوكها، فجنس النادرة أيضا نجد فيه توظيف هذه السخرية، فقد تحولت الشخصية في هذه النصوص النثرية الطريفة الى مادة خصبة للتهكم والنقد الاجتماعي.

فنجد هذا في بعض النوادر، كما في كتاب " نثر الدرر" لابن عبد الله بن طاهر وهو يلعب بالشطرنج "فقال: في أي الحيزين أنت؟ فقال: في حيز الأمير أيده الله، وغلب عبيد الله فقال: يا أبا العيناء، قد غلبنا وقد أصابك الندب خمسين رطلا ثلجا، فكن أنت في حيلتها، قال: فقام ومضى الى ابن ثوابة، وقال: ان الأمير يدعوك، فلما دخلا قال: أيد الله الأمير، قد جئتك بجبل همدان وماسيدان، فخذ منه ما شئت، فضحك حتى استلقى ".[28]

---

[27] ـ نادية كتاف، خطاب السخرية في أدب العرب ابان عصور القوة، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب واللغات، العدد 21- جانفي 2019، ص 94

[28] ـ ابن أبي سعد، نثر الدرر، ج4، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1998، ص197.

فهذه النادرة تحكي عن مجلس الأمير عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أثناء لعبه للشطرنج حيث أنه خسر الرهان ، فوقعت عليه غرامة تقدر بخمسين رطلا من الثلج ، فأراد الأمير أن يورط " أبا العيناء مباشرة ، بل احتال بذكائه و ذهب ابن ثوابة و استدعاه للمجلس بحجة أن الأمير يطلبه ، فلما حضر التفت أبو العيناء للأمير قائلا : " لقد جئت بجبل همذان و ما ماسيدان و هي منطقة قرب العراق ، فخذ منه ما شئت " ، مشبها جثة ابن ثوابة الضخمة الجبال المكسوة بالثلوج ، و هذا الرد المفاجئ الساخر جعل الأمير يضحك حتى استلقى على ظهره ، بينما غضب ابن ثوابه لأنه استُخدم كأداة للسخرية و تعرض للاحتيال .

وقد تجلت ملامح المنهج التداولي في هذه النادرة ممن خلال تتبع المقاصد المستترة وراء الخطاب، حيث لم يعد القول مجرد بنية دلالية سطحية بل تحول إلى فعل إنجازي محكوم بسياق المقام وموازين القوى بين المتخاطبين.

فعند "أوستن وسيرل" الذي اعتبر أن اللغة لا تقتصر على وصف العالم، بل هي أداة لإنجاز أعمال وتغيير الواقع ففي هذه النادرة نجد الفعل الكلامي للأمير فهو فعل تعجيزي، فعندما خسر الأمير الرهان في الشطرنج قال لأبي العيناء:(وقد أصابك الندب خمسين رطلا ثلجا، فكن أنت في حيلتها.) فهنا تشكل الفعل الكلامي من ثلاثة مستويات تداولية:

- **الفعل اللفظي**: وهو القول الحرفي الصادر عن الأمير لغويا ونحويا (اخبار بالخسارة وطلب إيجاد حيلة للثلج)

-الفعل الإنجازي المتضمن للقول: فهنا تكمن القوة الإنجازية الحقيقية، فالأمير لا يطلب طلبا عاديا، بل يمارس فعل تكليف تعجيزي ومراوغ فالأمير استغل سلطته السياسية والمقامية لنقل عبء الخسارة المالية والجسدية من كاهله إلى كاهل أديب مجلسه.

- **الفعل التأثيري أو الناتج عن القول**: فالأثر الفوري المتوقع لأبي العيناء في مأزق (الارتباك، العجز أو الخضوع والدفع)

السخرية من السلوك:

لم تكن السخرية في جنس النوادر مجرد وسيلة للإضحاك العابر بل كأداة ذكية للنقد الاجتماعي وتقويم السلوك وتمرير الآراء التي يصعب التصريح بها، فقد شكل هذا التمهيد خطوة أساسية لفهم الأبعاد الخفية وراء هذه القصص القصيرة.

فقد اشتهر العصر العباسي بغرابة الأخلاق و الطباع ، فنجد الجاحظ ينتقد تلك الطباع و يسخر منها ذلك ليبرزها و يحاول إصلاحها ، و من بين أشهر تلك الطباع و التي تهكم بها نجد " البخل " ، وقد كثر البخلاء في عصر الجاحظ فكثر البخلاء في عصر الجاحظ و امتلكوا الثروات و تحكموا بأموالهم ، فمثل التاجر الثري نموذجا للشخص الذي يحرص على ماله و يمنعه عن الآخرين و قد خصص الجاحظ لهذه الفئة مؤلفه الشهير (كتاب البخلاء) ، و الذي وثق فيه بدقة ملامح الحرص و الشح في بيئته ، و أبلغ ما صور ه الجاحظ هو تقديس البخيل للمال فيقول : " الدرهم عشر العشرة ، أن العشرة عشر المائة ،و أن المائة عشر الألف ، و أن الألف عشر العشرة آلاف ، أما ترى كيف ارتفع الدرهم الى دية المسلم" فالبخيل كان يرى الدرهم الواحد قيمة تعادل دية الانسان ، معتبرا أن تضاعف الأموال يرفع من شأنها حتى تضاهي أثمن الحقوق .

ـ ومن النماذج التمثيلية للبخل:

" كان الرجل الأسود البخيل شديد الحرص على ماله لدرجة غريبة، فكان في الليل يخرج من بيته ويجلس تحت مصباح الطريق في الشارع بدل أن يجلس داخل منزله، وكان يفعل ذلك حتى لا يضطر الى اشعال السراج أو الزيت في البيت، توفيرا للنفقة وحتى لا يرى الناس النور فيظنوا أنه مستيقظ فيأتوا لزيارته أو طلب الضيافة. وفي احدى الليالي مرّ به بهلول فرآه جالسا تحت الانارة العامة، فقال متعجبا: ما الذي أجلسك هنا في هذا الوقت؟ فقال الرجل: أجلس هنا لأن نور الشارع مجاني، أما ان جلست في البيت فسأشعل السراج وأصرف المال بلا فائدة. فضحك بهلول وقال: بقي فقط أن تتنفس خارج بيتك حتى لا يستهلك هواء منزلك ".[29]

وتتجلى السخرية هنا في مشهد جلوس الرجل البخيل تحت انارة الشارع بدل الجلوس في بيته، خوفا من استهلاك الزيت أو جذب الضيوف وهو سلوك مبالغ فيه يُظهر تحول الحرص على المال الى تصرف غير عقلاني. وتزداد السخرية عندما يعلق بهلول بقوله ما معناه: " بقي فقط أن تتنفس خارج بيتك حتى لا تستهلك هواءه " اذ يستعمل التهكم لكشف عبثية البخل المفرط.

واعتمدت القصة على السخرية الاجتماعية من خلال المبالغة في تصوير البخل، حيث أن الرجل يتجنب حتى انارة بيته، فجاء تعليق بهلول ساخرا ليبرز تناقض السلوك وعدم منطقيته ويحول الموقف الى نقد أخلاقي مضحك في نفس الوقت.

[29] ـ ينظر: النيسابوري، عقلاء المجانين.

ومن خلال هذه النادرة يمكننا تحديد المقاصد التواصلية والمعاني الضمنية التي تتجاوز ظاهر الكلام، ويمكننا تطبيق المنهج التداولي على هذه النادرة وتحديد مباحثه، وهي كالتالي:

أفعال الكلام:

ـ الفعل الكلامي الاستفهامي:

يظهر الفعل الكلامي الاستفهامي في قول بهلول: " ما الذي أجلسك هنا في هذا الوقت؟"

فالظاهر هنا هو سؤال واستفهام، والمقصد التداولي هو الاستغراب والتشكيك في سلوك الرجل البخيل.

فالاستفهام هنا ليس طلبا حقيقيا للمعلومة فقط، بل يحمل وظيفة نقدية ساخرة.

ـ الفعل الكلامي التبريري:

ويتمثل في قول الرجل: " أجلس هنا لأن نور الشارع مجاني، أما ان جلست في البيت فسأشعل السراج وأصرف المال ".

فالوظيفة التداولية هنا تكمن في تبرير السلوك، والدفاع عن موقفه البخيل، ومحاولة اقناع المخاطب بمنطقية تصرفه.

ـ الفعل الكلامي الساخر أو التهكمي:

ويتمثل في قول بهلول: " بقي فقط أن تتنفس خارج بيتك حتى لا تستهلك هواءه ".

هذا القول ظاهره نصيحة ولكنه في الحقيقة فعل كلامي تهكمي، غايته السخرية من شدة البخل، ويحمل نقدا اجتماعيا غير مباشر.

الاستلزام الحواري:

قول بهلول: " بقي فقط أن تتنفس خارج بيتك "

فالمعني الظاهر هنا هو كنصيحة، أما المعنى الضمني فهو نقد مبالغ فيه للبخل.

ـ الحجاج:

فالحجاج حاضر هنا في تبرير الرجل لسلوكه، اذ يحاول اقناع بهلول بأن الجلوس تحت الانارة العامة تصرف اقتصادي وعقلاني، لكن بهلول يّفشل هذا الحجاج عبر السخرية، فيكشف تناقض منطقه.'[30]'

أيضا من بين النماذج نذكر لمحة لمحات المجانين في سلوك البخل:

" حدثنا محمد بن إسماعيل قال: كان عندنا رجل من جهينة يكنى أبا نصر قد ذهب عقله فقلت له يوما: ما السخاء؟ قال: جهل مقل. قلت فما الخل؟ قال: أف. وحول وجهه، فقلت: أجبني. قال: أجبتك ".'[31]'

وهنا سخرية من سلوك البخل: فعندما قال أبو نصر: أف، وحول وجهه، كان يزدري فعل البخل وطبيعة الشخص البخيل، فهو لم يلتفت لشكل البخيل أو ملابسه، بل سخر من سلوكه الأناني الذي يمثله البخل، معتبرا إياه تصرفا مقززا يستوجب الإعراض.

وهنا فالسخرية أخلاقية سلوكية هدفها الحط من قيمة البخل، وتنزيه السخاء، واظهار فطنة وذكاء أبي نصر في تعامله مع الأسئلة.

[30] - جون سيرل، أفعال الكلام، ترجمة عربية لكتاب سبيش 1969.

[31]- الامام ابي الفرج جمال الدين ابن الجوزي، الأذكياء، دار الكتاب العربي بيروت. دار الأصالة الجزائر، ص160,

المبحث الثاني: الحجاج في النوادر العربية القديمة

ـ مفهوم الحجاج

ـ الحجاج المغالطي

ـ التمثيل من النوادر العربية القديمة

المبحث الثاني: الحجاج في النوادر العربية القديمة

لا يقتصر خطاب الجنون في النوادر العربية القديمة على إثارة الضحك فحسب، بل يمثل نهجا تداوليا يهدف الى الاقناع والتأثير في الآخرين، فالمجنون في هذه النصوص يظهر كمتحدث ذكي يعرف كيف يحتار كلماته بعناية ليحرج خصمه أو يثبت في وجهة نظره. وبدلا من الهذيان، نجد أسلوبا حجاجيا منظما يعتمد على سرعة البديهة وقوة الحجة، حيث يستخدم المجنون منطقه الخاص ليرد على تساؤلات العقلاء بطريقة مفحمة تجعلهم يسلمون بصحة كلامه. وبذلك يتحول الحجاج في النادرة من مجرد تبادل للكلام الى وسيلة فعالة يختبئ خلفها الحكماء والمهمشون لتمرير رسائلهم ونقد للمجتمع والسلطة، بعيدا عن الصدام المباشر.

مفهوم الحجاج:

لغة: الحجاج عند ابن منظور في معجمه لسان العرب " حاججته أحاجه حجاجا ومحاججة حتى حاججته " أي غلبته بالحجج التي أدليت بها والحجة هي البرهان.

ويقول الله تعالى: «أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ...(258) »[32]

أي بالخصومة ومحاولة اثبات الرأي.

" معنى حاج خاصم وهو فعل جاء على زنة المفاعلة التي اشتق منها، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى، مع أنه يفيد الخصام بباطل ". [33]

وهنا فإن كلمة "حاجّ " تشير الى المغالبة في الجدال لإثبات الغلبة والأصل من الحجة هو البرهان الصادق، لكن قد تستعمل لوصف الخصومة حتى وان قامت على الباطل والمكابرة، اذن ومن خلال التعريفات اللغوية للحجاج نستخلص ان الحجاج هو فن استخدام البرهان بهدف اقناع الطرف الآخر لإثبات الغلبة والحجة عليه.

اصطلاحا:

عرفه طه عبد الرحمان في كتابه " اللسان والميزان والتكوثر العقلي " بقولـــــــــــه كل منطوق " كل منطوق به موجه الى الغير لا فهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها ".[34]

---

[32] - سورة البقرة الآية 258.

[33] - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، الدار جماهيرية للنشر، ج3، ص 31، ص 32.

[34] - طه عبد الرحمان، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي .الدار البيضاء المغرب ص266.

أي أن الحجاج كلام موجه لشخص أخر بهدف الشرح والإقناع وليس الإجبار، مما يجعل الحجاج عملية تبادلية تهدف الى الوصول الى قناعة عن طريق العقل.

ويعرفه بيرلمان في مؤلفه " مصنف في الحجاج " يقول: الحجاج انطلاقا من موضوعه الذي هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان الى التسليم "[35]

ويقصد بيرلمان هنا أن الحجاج هو دراسة الأساليب الكلامية التي يستخدمها المتحدث للتأثير في عقول المستمعين بهدف الاقناع.

ويعرفه حافظ اسماعيلي علوي في كتابه " اللسانيات والحجاج المغالط " على أنه " عملية لسانية اتصالية، الغاية منها الاقناع، الذي يعتمد على وسائل منطقية ولغوية خاصة في غاية الوضوح ".'[36]'

أو من خلال هاته التعريفات للحجاج نستخلص أنه نشاط تواصل متبادل يعتمد على اللسان وهدفه هو الاقناع بحيث يتحقق هذا الاقناع من خلال تقديم حجج تجمع بين سلامة المنطق وبلاغة التعبير، شرط أن تكون تلك الحجج واضحة تماما ومفهومة.

الحجاج المغالطي:

ويعرف بحجاج المغالطة أو حجاج التغليط أو الحجاج المغالطي أو الحجاج السفسطائي.

" هو أن يقصد المتكلم الى هذه الأغلاط قصدا، صارت مغالطات يهدف من ورائها الى اقناع المتلقي برأي ما، أو دفعه الى تغيير سلوك معين باحتجاج مغالط أو بالعبارة الأرسطية بسفسطات، وحدّ السفسطة أنها استدلال صحيح في الظاهر، معتل في الحقيقة

اما لفساد في المضمون أو في الصورة ".'[37]'

ان المغالطة أو السفسطة تعني ذلك الأسلوب الحواري الذي يتعمد فيه المتكلم توظيف أدلة خادعة ومضّلة بغرض توجيه المتلقي وتبني رأي جديد، أو دفعه لتعديل سلوكه، والسفسطة عند أرسطو تعني الخدعة أو القياس المخادع الذي يبدو ظاهريا صحيحا، لكن في باطنه يكشف حجة خاطئة.

---

[35] - ينظر عبد الله صولة: الحجاج آخره ومنطلقاته، من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتينكا، ص 292.

[36] - حافظ اسماعيلي علوي ومحمد اسداه، اللسانيات والحجاج المغالط، نحو مقاربة لسانية وظيفية ضمن (الحجاج مفهومه ومجالاته)، ج 3، ص27.

[37] - جميل حمداوي، أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو الى حجاج البلاغة الجديدة، ص28.

فهنا أرسطو يميز بين القياس والمغالطة في نقد الحجاج السفسطائي، وفضح آليات الحجاج الظاهري وعيوبه التي توهم بالاستقامة، والهدف هنا هو إيقاع المخاطب في الغلط.

وتعرف المغالطة على أنها: " ذكر الشيء وما يتوهم مقابلا له وليس كذلك " [38]

أي الايهام بالتضاد لشيئين لا تناقض بينهما، ويعرف ابن الأثير المغالطة بقوله: " ان المغالطة هي التي تطلق ويراد بها شيئان: أحدهما دلالة اللفظ على معنيين بالاشتراك الوضعي والآخر دلالة اللفظ على المعنى ونقيضه ".[39]

أي أن المغالطة تجمع بين معنيين مختلفين للفظ واحد أي مشتركان للفظ واحد، ولفظ آخر يدل على المعنى وعكسه.

وهي خداع لفظي يعتمد على لفظ واحد اما أن يفهم بوجهين، أو أنها تعني الشيء ونقيضه.

وللجاحظ رأي آخر حول هذه المسألة فقد ذكر في كتابه " البيان والتبين " مثالا، فيقول: " قال خالد بن الوليد لأهل الحيرة: أخرجوا الي رجلا من عقلائكم أسأله عن بعض الأمور.

فأخرجوا له عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة الغساني، وهو الذي بنى القصر، وهو يومئذ ابن خمسين وثلاثمائة سنة، فقال له خالد: من أين أقصى أثرك؟

قال: من صلب أبي. قال: فمن أين خرجت؟ قال: من بطن أمي، قال: فعلام أنت؟ قال: على الأرض. قال ففيم أنت؟ قال في ثيابي، قال: ما سنك؟ قال: عظم ..."[40] الى غاية نهاية الحوار.

ومن خلال هذا الحوار نلاحظ أنه بأكمله قام على فكرة أن الإجابة جاءت على غير ما يتوقعه السائل أو يطلبه، وهذا ما يسمى ب " الأسلوب الحكيم "، والهدف منه لإظهار الفطنة والذكاء والدعابة أو التخلص من احراج السائل.

وتظهر المغالطة من خلال سؤال خالد: " من أين أقصى أثرك " و " أين خرجت " وهنا خالد بن الوليد يقصد ماهي أبعد بلاد زرتها ومن أي بلد جئت.

---

[38] - ابن القيم الجوزية، الفؤاد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ص 123.

[39] - ان الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الجزء الثاني، المكتبة العصرية، بيروت، 1411هـ، 1990م.

[40] - أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبين، الجزء الثاني، ص147.

فكان جواب عبد المسيح " من صلب أبي "، "ومن صلب أمي "، وهنا تظهر المغالطة حيث حول المعنى من المكان الجغرافي الى النشأة البيولوجية، وذلك للهروب من إعطاء معلوماته عن تحركاته وبلدته.

وأيضا تظهر المغالطة في سؤال خالد بن الوليد: " ما سنك "، وهنا خاد يقصد كم عمرك. فكان جواب عبد المسيح: "عظم " والمغالطة هنا هي تفسير كلمة " سن "، أو العمر بالمعنى الفيزيائي، أي طبيعة الجسد أنه مجرد عظام بدلا من إعطاء رقم محدد.

والمغالطة هنا ليست كذبا، انما كانت توجيها ذكيا ومقصودا للكلام بعيدا عن مراد السائل لإحراجه والتخلص من أسئلته.

وعن الحجاج المغالطي نذكر النيسابوري كمثال لهذه البنية الحجاجية، حيث ربط موضوعات ممارساته بآليات تنظيمية تضع المتلقي أمام دوائر متقابلة أفقيا وعموديا حيث جعل منطقه في تنظيم الدوائر من خلال الآية الثالثة من سورة الفجر " وَالشَّفْعِ والوَتْرِ".

حيث أحال الوتر الى دائرة الخالق وأحال الشفع الى دائرة المخلوق، فتكون العلاقة بينهما عمودية تمتد من الأعلى الى الأسفل، دلالة الى أن الدائرة العلوية هي التي خلقت الدائرة السفلية وظلت تحكمها وتتحكم فيها، فدائرة الوتر تتسم بالوحدة والانسجام وتعبر من ثمة عن وحدانية الخالق (الله) الذي استأثر الصفات لنفسه: قوة بلا ضعف وحياة بلا موت وعز بلا ذل وغنى بلا فقر.

أما دائرة الشفع فتعتريها الأزواج المتضادة، ومن ثم تشمل حيزين أصغرين بينهما تقابلات ضدية في المستوى الأفقي: تقابل الحياة والموت والغنى والفقر والصحة والسقم ...الخ

ومن خلال هذا نستنتج أن المغالطة تمثل نوعا من أنواع الحجاج، حيث تقوم على استدلال غير صحيح، اذ يمارس فيها المتكلم عملية استدلالية تنطوي على فساد في المضمون والصورة سواء كان بقصد أو غير قصد.

النماذج التطبيقية للحجاج والحجاج المغالطي في النوادر العربية القديمة:

ـ حجاج الطفيلين:

ظهرت في الكثير من المرويات والأخبار كيف استعان الشخص الطفيلي ببعض النصوص الدينية كأداة للتأثير في سامعيه، بهدف التأثير في السامعين، بهدف تعديل مواقفهم

وتوجيه قناعاتهم نحو غاياتهم الخاصة وتعددت الشواهد ومن بينها: لجوء الطفيلي الى الاحتجاج بآيات القرآن الكريم ليدفع التهمة عن نفسه أمام من ينتقد سلوكه الاستغلالي.

ومن ذلك أن الطفيلي يحاجج بالقرآن ليدافع عن نفسه أمام من حاجَه مستنكرا تطفيله:'[41]'

" قال رجل لأبيه وكان يتطفل: يا أبت، أما تستحي من التطفيل؟، قال: وما أنكرت منه؟ فقد تطفل بنو إسرائيل فقالوا: «إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنزِلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ 114» '[42]'

فهنا عندما سأل الابن أبيه مستغربا: يا أبتي، أما تشعر بالخجل من التطفل على موائد الناس؟، لم يعط الأب جوابا تقليديا، بل رد بسؤال استنكاري قائلا: " ما العيب في ذلك؟

فقد طلب بنو إسرائيل قبلنا مائدة من السماء لتكون لهم عيدا .

ويلاحظ في هذا الحوار أنه جاء مجردا من التفاصيل والأحداث، فالتركيز كله يرتكز على المواجهة الكلامية الذكية بين الابن الرافض للتطفل، والأب الذي يدافع عنه.

لقد قلب الأب الطاولة على ابنه بسؤاله، ثم دعم موقفه مباشرة بآية قرآنية ليجعل سلوكه حجة قوية وصريحة تبرر فعله، وأمام هيبة النص وقوته، عجز الابن عن الرد واضطر للاستسلام، ولذلك انتهى الحوار وتوقف عن هذا الحد.

و تكمن المغالطة الحجاجي هنا في الرد الذكي و المخادع الذي قدمه الأب الطفيلي لابنه من خلال : اخراج النص الديني من سياقه الأصلي وتحويل سلوك اجتماعي منحرف عبر القياس الفاسد ، حيث انتزع الأب الطفيلي الآية الكريمة من اطارها الاعجازي ، و نقلها عمدا الى سياق مادي يومي لتبرير استغلاله لموائد البشر دون اذنهم ، مقيما بذلك مقارنة باطلة بين طلب الرزق و المعجزات من الخالق ، و اقتحام بيوت المخلوقين و أكل طعامهم بغير طيب نفس مستغلا في الوقت ذاته مغالطة التوسل بالسلطة عبر الاحتماء بهيبة النص القرآني لإسكات ابنه ، و التهرب الذكي من المسؤولية الأخلاقية و الاجتماعية لفعل التطفل دون مناقشة قبحه الحقيقي .

[41] - الحجاج عند الطفيليين، أحمد علواني، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2015 ص89.
[42] - سورة المائدة، اية 114.

ـ حجاج المجنون في النوادر العربية:

" وسئل بهلول عن رجل مات وخلّف ابنا وبنتا وزوجة ولم يترك من المال شيئا، فقال:

للابن اليتيم وللبنت الثكل وللزوجة خراب وما بقي فللعصبة " '[43]'.

فهنا السائل يطلب حكما فقهيا أي تقسيم الميراث، وهو سؤال يفترض وجود تركة مادية قابلة للقسمة، فيعمد بهلول هنا الى تقديم جواب يكرر نفس المعطيات التي في السؤال، لكن بصيغة بلاغية بدلا من الحساب الرياضي.

ويظهر الحجاج المغالطي في هذه النادرة من خلال قول بهلول: للابن اليتم وللبنت الثكل وللزوجة خراب البيت. فهنا السائل قال في البداية إن الميت لم يترك من المال شيئا، وكان ينتظر حلا حسابيا، لكن بهلول أخذ نفس فكرة الفقر والعدم وأخذ صياغتها في شكل حصص ومواريث (اليتيم، الحزن، الخراب)، وهذا ما يسمى بالمصادرة على المطلوب، أي أن الجواب هو نفسه اللاشيء، أو بعبارة أخرى بهلول قسم " المصيبة " بدلا من تقسيم المال.

ونلخص القول إن الحجاج المغالطي في هذه النادرة ظهر عندما ألبس بهلول الفقر والعدم بثوب التقسيم الفقهي. فبدل أن يقول للسائل " لا يوجد مال لنقسمه "، تظاهر بأنه يقسم فعلا.

فجعل نصيبهم الحزن والخراب.

أيضا تبرز هنا تبرز هنا ظواهر المنهج التداولي من خلال أن خطابات بهلول تجاوزت المعنى الحرفي الظاهري، حيث أن بهلول يقوم بعملية تقسيم فقهي للميراث ويوزع الحصص على الأبناء والزوجة والعصبة، وهذه تعتبر مغالطة لأنه يقسم صفرا (لا شيء).

وفي المعنى المضمر فالمعنى الخفي هنا غير منطقي، فالمستمع عنما يسمع بهلولا يقول: نصيب الزوجة خراب البيت. يفهم فورا أن بهلول لا يمزح، بل يرصد الى إيصال رسالة مشفرة، وأنه لا يوجد شيء لتقسيمه، وسؤالك لا قمة له.

[43] ـ ابن الجوزي الأذكياء، دار الكتاب العربي بيروت، دار الأصالة الجزائر، ص162.

ـ نموذج آخر:

" ولد لبعض أمراء الكوفة بنت، فساءه ذلك امتنع عن الطعام، فدخل عليه بهلول فقال: ما هذا الحزن، أجزعت بخلق سوي وهبه رب العالمين، أيسرك أن مكانها أبناءا مثلي؟ فسري عنه".[44]

فهنا هذه النادرة تحكي عن أحد أمراء الكوفة عندما رزق بمولودة بنت حزن حزنا شديدا وامتنع عن الطعام، فدخل عليه بهلول ليخفف عنه ويزيل حزنه، فسأله سؤالا ذكيا " هل يسرك أن يعطيك الله بدلا من هذه البنت السوية الحسنة أبناءا ذكورا مجانين مثلي؟ "

فلما سمع الأمير هذا زال حزنه وانشرح صدره وعاد للأكل.

يظهر الحجاج المغالطي في هذه النادرة من خلال مغالطة الاحراج الزائف ذلك في قول بهلول: أيسرك أن مكانها أبناء مثلي ؟، فبهلول هنا حصر خيارات الأمير في خيارين متطرفين فقط لا ثالث لهما: (اما بنت سليمة، وإما ذكور مجانين كبهلول).

وهذه مغالطة لأن هناك خيارات أخرى في الواقع (فقد يرزق الأمير بأولاد ذكور عقلاء وسليمين)، لكن بهلول تعمد الغاء كل الخيارات الأخرى، ووضع الأمير أمام مقارنة ليجبره على اختيار الخيار الأفضل المتاح حاليا وهو البنت السليمة.

والتداولية هنا تحقق الهدف الفعلي وهو تغيير حالة المخاطب ونفسيته بحيث:

أن بهلول استغل هويته كمجنون بذكاء شديد، فقد جعل من نفسه نموذجا مخيفا للمقارنة، ليقنع الأمير بأن إنجاب البنات السليمات أفضل بآلاف المرات من إنجاب ذكور مصابين بالجنون.

أيضا المعنى الظاهري يكمن في مقارنة البنت وبهلول، والاستلزام الحواري أو المعنى الخفي فيكمن في الرسالة الخفية التي أراد بهلول ايصالها للأمير وفهمها الأمير فورا، وهي: أن جنس المولود (ذكر أو أنثى) ليس هو المهم، بل المهم هو العافية والسلامة العقلية والجسدية. فالبنت السليمة السوية نعمة عظيمة تستحث الشكر لا الحزن والامتناع عن الطعام.

وفي آخر النادرة تختم ب " فسري عنه "، فالحجة المغالطة التي قدمها بهلول أي الاحراج الزائف، لم تكن بهدف الخداع بل كانت حيلة علاجية نجحت في قلب موقف الأمير من الحزن الصارم الى الرضا والسرور.

[44] ـ المرجع: نفسه: ابن الجوزي، الاذكياء ص 162.

فهذه النادرة تظهر لنا كيف يتحول الإحراج الزائف من مغالطة منطقية الى تداولية ناجحة، حيث استغل بهلول هويته المجنونة ليصنع استلزاما حواريا يقنع الأمير بقيمة العافية محققا بذلك الغرض الإقناعي.

وهو تحويل نفسية الأمير من الحزن الى السرور.

الخـــاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة الموسومة ب: " خطاب الجنون في النوادر العربية القديمة مقاربة تداولية "، نلخص الى جملة من النتائج التي توّجت مسار البحث والتحليل، ومن أبرزها:

1) أثبتت الدراسة أن خطاب الجنون في النوادر العربية لم يكن مجرد هذيان أو فكاهة عابرة، بل هو خطاب تداولي بامتياز، يمتلك مقاصد تواصلية ذكية تهدف الى نقد الواقع وتفكيك السلطة الاجتماعية والفكرية.

2) تبين أن السخرية في نوادر المجانين كانت استراتيجية دفاعية وهجومية في آن واحد، حيث استطاع المجنون من خلال السخرية من المواقف والشخصيات أن يمرر حقائق يعجز العاقل عن التصريح بها، متحصنا برفع القلم عنه.

3) كشف البحث عن القوة الحجاجية في كلام المجانين، حيث وظفوا الحجاج بنوعيه المنطقي (العادي) والمغالطي للإقحام الخصوم وقلب موازين القوى الكلامية، مما جعل من النوادر ساحة للمناظرة الفكرية بصيغة قصصية.

4) ان المقاربة التداولية لهذا التراث سمحت لنا بفهم السياق المقامي الذي أنتج فيه خطاب المجنون، وأثبتت مرونة النصوص العربية القديمة وقابليتها للتطبيق وفق أحد ث المناهج اللسانية المعاصرة.

وختاما، فإننا نوصي بضرورة التوسع في دراسة الخطابات الهامشية في التراث العربي باستخدام أدوات تحليل الخطاب والتداولية، لما تحمله من كنوز معرفية لا تزال بحاجة الى كشف واستنطاق.

ونرجو أن نكون وفقنا في تقديم إضافة متواضعة رغم كل الصعوبات التي واجهت هذا العمل والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

القران الكريم رواية ورش عن نافع.

المراجع:

ـ ابن أبي الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. الجزء الثاني، المكتبة العصرية، بيروت،1411 هـ، 1990م.

ـ ابن أبي سعد، نثر الدرر، الجزء الرابع، دار النشر: وزارة الثقافة في الجمهورية السورية. دمشق، 1998.

ـ أحمد خصخوصي، كتاب الحمق والجنون في التراث العربي القديم، دار النشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت الحمراء، أميل أده، بناية سلام.

ـ أحمد علواني، الحجج عند الطفيليين، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2015

ـ الجاحظ، البيان والتبيين، مجلد 2، ج4، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، 1418هـ، 1998م.

ـ جميل حمداوي، أنواع الحجاج ومقوماته من حجاج أرسطو إلى حجاج البلاغة الجديدة.

ـ ابن الجوزي، كتاب الأذكياء، دار الكتاب العربي، بيروت، دار الأصالة، الجزائر.

ـ حافظ اسماعيلي علوي ومحمد اسداه، اللسانيات والحجاج المغالط مقاربة حجاجية وظيفية (الحجاج مفهومه ومجالاته)، الجزء الثالث.

ـ ابن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، تحقيق: عمر الأسعد، دار النفائس.

ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، دار الكتب العلمية، الطبعة 1، 2003.

ـ ركان الصفدي، الفن القصصي في النثر العربي، الهيئة العامة السورية للكتاب، الطبعة 1. 2011.

ـ صالح بن رشيد العضياني، تداولية الخطاب الساخر في مقامات ابن المعظم، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة 1، 1444هـ، 2023م.

ـ طه عبد الرحمان، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، المركـــز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

-عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ط1، 1997.

- عبد الفتاح عوض، السخرية في روايات بايستر: دراسة سيكولوجية، عين الدراسات والبحوث، ط1، 2001.

- علي محمد السيد خليفة، فن النادرة عند الجاحظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر. 2016، الطبعة 1.

- ابن القيم الجوزية: الفؤاد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان.

- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الجزء الثالث.

- مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط.

- مراد المتيوي، خطاب الجنون: حفريات في الثقافة العربية، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع. عمان، شارع الملك حسين.

- المسعودي، مروج الذهب، ترجمة محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

- ميشيل فوكو، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006.

- ابن منظور، لسان العرب، دار بيروت، الطبعة 1، 1957.

- نادية كتاف، خطاب السخرية في أدب العرب ابان عصور القوة، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب واللغات، العدد 21، جانفي 2019.

- وسام حسين جاسم العبيدي، صورة المجنون في المتخيل العربي، ابن النديم للنشر والتوزيع. الطبعة 1، السنة 2016.

- الوطواط، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، دار القلم، الطبعة الأولى،1439هـ،2018م.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الاهـداء	
شكر والتقدير	
ملخص الدراسة	
مقدمة	**2-1**
تمهيد: موضوع المجنون	**3**
المبحث الأول: السخرية في النوادر العربية القديمة	**13**
1- مفهوم السخرية	**13**
2- مفهوم النادرة	**13**
3- السخرية من الموقف	**15**
4- السخرية من الشخصية	**16**
المبحث الثاني: الحجاج في النوادر العربية القديمة	**26**
1- مفهوم الحجاج	**26**
2- الحجاج المغالطي	**27**
الخـــاتمة	**33**
قـائمة المصادر والمراجع	